حكم العيش تحت حكم الكافر

كتبه غريب الديار بتاريخ الأحد ١٣ رمضان ١٤٤٢

نظر لكون الأرض اليوم كافرة بشقيها المدعي للإسلام، وغير المدعي له، فإنه يجب على المسلم البحث في الوحي عن حكم العيش تحت سلطان هذه الأنظمة الكافرة التي تحكم العالم، حتى يكون على بصيرة من أمره، ويعمل وفق ما أمره الله به.

سوف نحاول في هذه السطور مناقشة حكم العيش تحت سلطان الكافر، في ضوء الوحي قرآنا وسنة من خلال المحاور التالية:

- العيش تحت حكم الكافر وما ينجم عنه
    - ترك ما أوجب الله من دعوة الكفار للإسلام خضوعا للطاغوت
    - دفع الضرائب
    - استعمال العملات الورقية
- الآيات الواردة في العيش تحت سلطان الكافر
    - فَقالوا أَنُؤمِنُ لِبَشَرَينِ مِثلِنا وَقَومُهُما لَنا عابِدونَ
    - إِنَّ الَّذينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِي الأَرضِ قالوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَساءَت مَصيرًا
- الحلول المتاحة للمسلم
    - دعوة الكافر إلى الإسلام
    - الهجرة في أرض الله الواسعة
- الاستثناء من الهجرة والدعوة
- شبهات حول العيش تحت سلطان الكافر
    - عمل يوسف تحت إمرة ملك مصر الكافر
    - مؤمن آل فرعون
    - إمرأة فرعون
    - هجرة الصحابة إلى الحبشة
- الخاتمة

العيش تحت حكم الكافر وما ينجم عنه

إن العيش تحت حكم الكافر, يعني الخضوع لحكمه, والخضوع صورة من صور العبادة كما مر معنا سابقا, أي أن العيش تحت سلطان الطاغوت, يستلزم عبادته من خلال الخضوع له, وهذا هو عين الشرك المنافي للإسلام, حيث يخضع المرء لله عز وجل وحده.

يتجلى الخضوع للطاغوت من دون الله, في زمننا المعاصر في أمثلة كثيرة, نضرب منها على سبيل المثال لا الحصر الأمثلة التالية

ترك ما أوجب الله من دعوة الكفار للإسلام خضوعا للطاغوت

إن المسلم لا يسعه السكوت على المنكر, وخصوصا إذا كان الشرك بالله عز وجل, لأن السكوت عليه يعني الوقوع فيه, – لأنه منكر في حد ذاته – ونزول العذاب, والعياذ بالله, وقد دلت على هذا آيات كثيرة, منها قول الحق سبحانه:

﴿وَإِذ قالَت أُمَّةٌ مِنهُم لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم أَو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَديدًا قالوا مَعذِرَةً إِلى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُم يَتَّقونَ۝فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنجَينَا الَّذينَ يَنهَونَ عَنِ السّوءِ وَأَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفسُقونَ۝فَلَمّا عَتَوا عَن ما نُهوا عَنهُ قُلنا لَهُم كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٦]

فقد بينت هذه الآيات أن الله نجى فقط الذين أنكروا على قومهم صيد يوم السبت من عذابه, وأصاب العذاب الذين اصطادوا, والذين سكتوا عنهم, هذا حصل مع معصية دون الشرك, فكيف بالشرك وهو أعظم ذنب؟

إن الذي يعيش تحت سلطان الطاغوت, مجبر على السكوت وعدم دعوة الطاغوت إلى الإسلام, وإلا يُرمى في السجن جزاءً نكالاً من الطاغوت.

دفع الضرائب

يفرض الطاغوت على الرعية دفع نسبة من مالها له, غرامة يغرمهم بها, وهذا مناف لما أمر الله به من حفظ المال وعدم التفريط فيه, ومع ذلك لا يجد من يعيش تحت حكم الكافر بُداً من دفع ماله الذي رزقه لهذا الكافر خضوعا واستسلاما له, وهذا أكبر صور عبادة الطاغوت كما فصلنا في مقال دفع الضرائب للطاغوت.

يفرض الطاغوت على الرعية استخدام العملات الورقية التافهة، والتي هي من صور أخذ أموال الناس بالباطل، وهو محرم في دين الله عز وجل، فأنت تعطي للشخص طعاما أو مواد ينتفع بها وهو يعطيك ورقا لا قيمة له في ذاته، وإنما قيمته يحددها الطاغوت الذي تعيش تحت حكمه، فتعاملك بها إقرار بأن الطاغوت له الحق في الخلق، حيث خلق قيمة لهذه الورقة التي لا قيمة لها أصلا، وأنت أقريته على ذلك بتعاملك بها كما فصلنا في مقال حكم التعامل بالعملات الورقية.

استعمال العملات الورقية أكبر تجليات الخضوع للطاغوت، وينجم عنه سلسلة من الأفعال المحرمة يطول الحديث عنها، يمكن مراجعة مقال مقارنة الواقع الاقتصادي أيام البعثة بالواقع الاقتصادي اليوم للاطلاع على بعض منها.

ما ذكرناه آنفاً جزء يسير من صور الخضوع للطاغوت، والتي يصعب حصرها، نظر لتغلل الأنظمة الحديثة في حياة المرء، سواء الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو القضائية، ولذلك يمكن القول:

أن العيش تحت حكم الكافر هو شرك بالله لما يفرض من عبادة الكافر.

الآيات الواردة في العيش تحت سلطان الكافر

لقد ناقش القرآن العيش تحت حكم الكافر في آيات عدة بصورة مباشرة، وغير مباشرة، وسوف نقف مع آيتين تحدثت عن حكم العيش تحت سلطان الطاغوت، ومصير صاحبه يوم القيامة.

فَقالوا أَنُؤمِنُ لِبَشَرَينِ مِثلِنا وَقَومُهُما لَنا عابِدونَ

لقد بين الله عز وجل كيف يرى فرعون وملأه بني إسرائيل، فقد كانوا يرونهم عُباداً لهم، وهذا الوصف دقيق جداً، وهو وصف حالهم في لسان العرب، فلقد كان فرعون ربهم الذي يطيعون أمره، وكانوا له خاضعين مستسلمين وهذه هي العبادة نفسها.

إن وصف فرعون لبني إسرائيل بكونهم يعبدونه، أكد عليه موسى صلى الله عليه وسلم حين قال مخاطبا فرعون

﴿وَتِلكَ نِعمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَن عَبَّدتَ بَني إِسرائيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]

فقد صيَّر فرعون بني إسرائيل عُباداً له, حيث فرض عليهم طاعته, فقوله عبَّدت, تعني جعلتهم عباداً لك, وليس عبيداً لك كما يتصور البعض, والفرق بين العبيد والعباد, أن العبيد لا يطيعون سيدهم في معصية الله, بينما العباد فهم يعتبرون سيدهم ربهم الأعلى, حيث أن طاعته مطلقة, وغير مشروطة بعدم معصية الله, وهكذا كان بني إسرائيل مع فرعون, وهكذا حال كل من يعيش تحت سلطان الطاغوت مع طاغوته.

إذاً كل من يعيش تحت سلطان الطاغوت هو عابد للطاغوت سواء أقر بذلك أو لم يقر.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِي الأَرضِ قالوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَساءَت مَصيرًا

يبين لنا ربنا عز وجل في هذا الحوار, مصير من كان يعيش تحت سلطان الطاغوت بحجة الاستضعاف, حيث أن مصيره جهنم والعياذ بالله.

إن الذين تحدثت عنهم الآية لم يكن لهم ذنب يذكروه سوى العيش تحت حكم الكافر بحجة الاستضعاف, وكان هذا الذنب كافيا ليكون مصيرهم النار, والعياذ بالله, لأن العيش تحت سلطان الطاغوت يستلزم عبادته, ومن ثم فلا عجب أن يكون مصيرهم النار, نسأل الله السلامة والعافية.

يحتج البعض بسبب نزول هذه الآية, ويريد أن يُقزِّم الآية, وكأنها خاصة بمن نزلت فيهم, دون غيرهم, وهذا نوع من تحريف الكلم عن مواضعه, والعياذ بالله, لأن الآيات ليست خاصة بسبب نزولها, وإنما هي عامة للأمة وترد في كل من وقعت عليه دلالة ألفاظها.

إن كون هذه الآية نزلت فيمن خرج مع المشركين لقتال المسلمين مكرها, لا تعني أن الإكراه على غير ذلك من المعاصي خارج من هذه الآية, كما يتوهم البعض.

بل هذه الآية واردة في كل من يعيش خاضعا للطاغوت وهو قادر على الهجرة, حيث أنه عبد الطاغوت بخضوعه له, ومن ثم فإن مأواه جهنم وساءت مصيرا, والعياذ بالله.

الحلول المتاحة للمسلم

بكل تأكيد نحن بحاجة ماسة لمعرفة الحلول المتاحة لنا في هذا الظرف العصيب, حيث أن كل الدول تخضع لأنظمة كفرية, ولا وجود لدولة مسلمة يمكن الهجرة إليها.

عند العودة لمصدر التلقي والتشريع الوحيد لدى المسلم، نجد أنه عند المسلم حلين متاحين له، يمكنه أن يختار أحدهما للنجاة بدينه وهما:

دعوة الكفار للإسلام

بالنظر في الوحي قرآنا وسنة نجد أن دعوة الكفار للإسلام، دعوة صريحة، تقوم على الكفر بهم، وبقوانينهم، هي حل متاح للمسلم في كل زمان وذلك بدليل دعوة الأنبياء أقوامهم، ودعوة مؤمن آل فرعون قومه، ودعوة مؤمن أصحاب القرية كذلك.

بالطبع قد يواجه المسلم القتل، والتعذيب، والسجن، إن هو دعا الكفار دعوة صريحة كما فعل الأنبياء، وهذا أمر عليه أن لا يفاجئه، وأن يكون مستعدا له، فقد قتل كثير من الأنبياء، فكيف بمن دونهم.

إن هذا الحل في أقسى صوره، واجهه أصحاب الأخدود، حيث حُرّقوا وهم أحياء في سبيل إيمانهم بالله عز وجل، والذي يقوم على الكفر بالطاغوت كشرط أساسي جعلهم يدفعون أرواحهم في سبيل الله، وهذا هو الفوز الكبير كما أخبر ربنا عز وجل عنهم في قوله:

﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٌ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ ذلِكَ الفَوزُ الكَبيرُ﴾ [البروج: ١١]

لذلك يخطئ البعض خطأ فادحا، حين يعتبرون دعوة الطاغوت في زماننا نوعا من إلقاء النفس إلى التهلكة، فالتهلكة الحقيقية، هي العيش تحت حكمه دون دعوته، أما دعوته، والقتل في سبيل الله، هي الفوز الكبير كما بيَّن ربنا عز وجل.

الهجرة في أرض الله الواسعة

الحل الثاني المتاح للمسلم، هو الهجرة إلى أرض الله الواسعة، ونقصد بأرض الله الواسعة، أرضاً ليس للطاغوت عليها سلطان، بحيث يستطيع المرء أن يعبد الله وحده فيها، دون أن تكون هناك قوة تجبره على الخضوع لغير الله عز وجل.

إن المُهاجَر ليس أرض الإسلام لزاماً، وإنما إلى أرض الله الواسعة، وهي كثيرة جداً، منها البراري الواسعة، والصحاري، والجبال، والغابات، كل تلك الأماكن يمكن للمرء أن يعيش فيها دون أن يكون للكفار علم به أصلاً، فضلاً أن يكون واقعا تحت حكمهم.

إن الأدلة على أن المهاجَر هو أرض الله الواسعة التي ليس فيها سلطان الطاغوت كثيرة منها:

‹إِنَّ الَّذينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِي الأَرضِ قالوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَساءَت مَصيرًا› [النساء: ٩٧]

فقول الملائكة لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، دليل أنه عليهم الخروج من حيث هم مستضعفين إلى أرض الله الواسعة حيث لا سلطان لأحد عليهم.

لقد ذكر الله نفس المعنى، أي إرتباط عبادة الله وحده بأرضه الواسعة في آيات أخرى منها:

‹يا عِبادِيَ الَّذينَ آمَنوا إِنَّ أَرضي واسِعَةٌ فَإِيّايَ فَاعبُدونِ› [العنكبوت: ٥٦]

فأرض الله واسعة، ومن ثم يمكننا أن نختار مكانا لا نخضع فيه لغير الله عز وجل، ونحقق العبودية لله وحده.

إن الهجرة إلى أرض الله الواسعة، أمر في غاية الصعوبة، ويحتاج صبرا كبيرا، وتوفيقا من الله عز وجل، وقد رغب الله في الهجرة في أماكن عدة، فقال بعد آية النساء السابقة:

‹وَمَن يُهاجِر في سَبيلِ اللَّهِ يَجِد فِي الأَرضِ مُراغَمًا كَثيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخرُج مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ غَفورًا رَحيمًا› [النساء: ١٠٠]

وقال بعد آية العنكبوت مرهبا ومرغبا ومطمئنا:

‹كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ ثُمَّ إِلَينا تُرجَعونَ ۝ وَالَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِنَ الجَنَّةِ غُرَفًا تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها نِعمَ أَجرُ العامِلينَ ۝ الَّذينَ صَبَروا وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلونَ ۝ وَكَأَيِّن مِن دابَّةٍ لا تَحمِلُ رِزقَهَا اللَّهُ يَرزُقُها وَإِيّاكُم وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ۝ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لَيَقولُنَّ اللَّهُ فَأَنّى يُؤفَكونَ ۝ اللَّهُ يَبسُطُ الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَيَقدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَن نَزَّلَ

مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحيا بِهِ الأَرضَ مِن بَعدِ مَوتِها لَيَقولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الحَمدُ لِلَّهِ بَل أَكثَرُهُم لا يَعقِلونَ› [العنكبوت: ٥٧-٦٣]

فالرزق الذي يشغل الفرد، اللّٰه يتكفل به، ويبين أنه توجد كثير من المخلوقات التي لا تحمل رزقها، اللّٰه يرزقها، كما يبين أنه هو من ينزل الغيث، ويحيي الأرض بعد موتها، وعليه فإن من يهاجر إليه عليه أن يطمئن، ولا يكن الرزق هو ما يمنعه، فهو مهاجر إلى الرزاق ذي القوة المتين.

الاستثناء من الهجرة والدعوة

لا يكلف اللّٰه نفسا إلا وسعها، وحين يكون المرء عاجزاً عن الهجرة، لا يجد حيلة، ولا يهتدي سبيلا، وعاجزاً عن الدعوة، فإن اللّٰه لم يكلفه ما لا يطيق، وقد استثناه اللّٰه من المصير الأليم الذي يلقاه من كان يعيش تحت حكم الكافر وهو قادر على الهجرة، حيث قال ربنا عز وجل

‹إِلَّا المُستَضعَفينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالوِلدانِ لا يَستَطيعونَ حيلَةً وَلا يَهتَدونَ سَبيلًا۝فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعفُوَ عَنهُم ۚ وَكانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفورًا› [النساء: ٩٨-٩٩]

فالذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا هم فعلا المستضعفين الذين أعذرهم اللّٰه، أما غيرهم فلا حجة لهم وعليهم أن يخرجوا من سلطان الكافر.

شبهات حول العيش تحت سلطان الكافر

للأسف الشديد يحاول كثير من مدعي اتباع الوحي بقصد، أو بغير قصد، تبرير العيش تحت سلطان الطاغوت، ما دامت لا توجد دولة مسلمة يمكن الهجرة إليها.

ويستخدمون لذلك عدة شبهات منها تقزيم آية النساء، واعتبارها خاصة بسبب نزولها لا غير، ومنها بعض الشبهات التي سوف نعرض أهمها في ما يلي

عمل يوسف تحت إمرة ملك مصر الكافر

يقول كثير من هؤلاء أن العيش تحت سلطان الطاغوت أمر جائز، لكون نبي اللّٰه يوسف صلى اللّٰه عليه وسلم عمل تحت إمرة ملك مصر الكافر، والجواب على هذه الشبهة

هو كون يوسف لم يكن تحت سلطان الطاغوت بل كان حر الإرادة، غير خاضع لسلطة الملك، وقد نص الله على ذلك في قوله:

﴿وَكَذلِكَ مَكَّنّا لِيوسُفَ فِي الأَرضِ يَتَبَوَّأُ مِنها حَيثُ يَشاءُ نُصيبُ بِرَحمَتِنا مَن نَشاءُ وَلا نُضيعُ أَجرَ المُحسِنينَ﴾ [يوسف: ٥٦]

فيوسف كان خارج سلطة القانون، له كامل الحرية وقد تجلى في مواقف منها:

أولا عدم رضوخه للقانون، حيث أخذ أخاه خلافا لما في دين الملك، حيث أخبرنا ربنا عنه في قوله:

﴿فَبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم قَبلَ وِعاءِ أَخيهِ ثُمَّ استَخرَجَها مِن وِعاءِ أَخيهِ كَذلِكَ كِدنا لِيوسُفَ ما كانَ لِيَأخُذَ أَخاهُ في دينِ المَلِكِ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]

فلم يعمل يوسف بقانون الملك، فهو خارج سلطة القانون

ثانيا تجلت حرية يوسف في دعوة المصريين إلى الإسلام، وهي دعوة لا يقبل لأحد ممارستها، إلا إذا كان ذا سلطة مطلقة خارجة عن سلطة القانون، فقد أخبرنا ربنا عن دعوته إياهم على لسان مؤمن آل فرعون حين قال:

﴿وَلَقَد جاءَكُم يوسُفُ مِن قَبلُ بِالبَيِّناتِ فَما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ حَتّى إِذا هَلَكَ قُلتُم لَن يَبعَثَ اللَّهُ مِن بَعدِهِ رَسولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ مُرتابٌ﴾ [غافر: ٣٤]

فأين أنت من يوسف؟

هل أنت فوق سلطة القانون كما كان يوسف؟ وهل دعوت أهل بلدك كما فعل يوسف ؟

حين تكون الإجابة نعم، يمكنك العيش في دولة كافرة، أما وأنت لست كذلك، فلا.

مؤمن آل فرعون

يحتج البعض بأنه يمكن كتم الإيمان، والعيش تحت حكم الكافر، بحجة مؤمن آل فرعون، وهي حجة واهية وذلك لأن:

أولا مؤمن آل فرعون لم يكن تحت سلطة فرعون، والدليل على ذلك جواب فرعون الخجول أمامه والذي قال فيه :

﴿يا قَومِ لَكُمُ المُلكُ اليَومَ ظاهِرينَ فِي الأَرضِ فَمَن يَنصُرُنا مِن بَأسِ اللَّهِ إِن جاءَنا قالَ فِرعَونُ ما أُريكُم إِلّا ما أَرى وَما أَهديكُم إِلّا سَبيلَ الرَّشادِ﴾ [غافر: ٢٩]

ففرعون المتجبر الطاغية، لا يستطيع الرد على هذا المؤمن، ولذلك جاء رده خجولا مؤدبا اتجاه هذا الرجل لأنه لا سلطة له عليه.

لو كانت لفرعون سلطة على هذا المؤمن، لفعل به ما فعل بالسحرة من بطش، وقتل، ولكنه عاجز ذلك، وهذا الرجل فوق سلطانه، لذلك تحاشا الرد المباشر عليه.

ثانيا إن مؤمن آل فرعون لم يظل يكتم إيمانه، بل دعا قومه إلى الإسلام دعوة صريحة، كانت سببا في نجاته حيث أخبرنا ربنا عنه في قوله:

﴿وَقالَ الَّذي آمَنَ يا قَومِ اتَّبِعونِ أَهدِكُم سَبيلَ الرَّشادِ۝يا قَومِ إِنَّما هذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ۝مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجزى إِلّا مِثلَها وَمَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولئِكَ يَدخُلونَ الجَنَّةَ يُرزَقونَ فيها بِغَيرِ حِسابٍ۝وَيا قَومِ ما لي أَدعوكُم إِلَى النَّجاةِ وَتَدعونَني إِلَى النّارِ۝تَدعونَني لِأَكفُرَ بِاللَّهِ وَأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ وَأَنا أَدعوكُم إِلَى العَزيزِ الغَفّارِ۝لا جَرَمَ أَنَّما تَدعونَني إِلَيهِ لَيسَ لَهُ دَعوَةٌ فِي الدُّنيا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ المُسرِفينَ هُم أَصحابُ النّارِ۝فَسَتَذكُرونَ ما أَقولُ لَكُم وَأُفَوِّضُ أَمري إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بِالعِبادِ۝فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ ما مَكَروا وَحاقَ بِآلِ فِرعَونَ سوءُ العَذابِ۝النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ أَدخِلوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذابِ﴾ [غافر: ٣٨-٤٦]

فهل أنت فوق سلطة الطاغوت كما كان مؤمن آل فرعون حتى تحتج به؟

أم هل دعوت قومك وطاغوتهم كما فعل مؤمن آل فرعون؟

امرأة فرعون

يحتج البعض بالمرأة الصالحة المؤمنة امرأة فرعون، وهذا الاحتجاج يصح لمن لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا كحالها، فؤلئك استثناهم الله، ولذلك لا حجة لغيرهم في امرأة فرعون.

يقول البعض أن العيش تحت سلطان الكافر جائز بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة، وملكها يومئذ كافر.

لهؤلاء نقول: صحيح أن ملك الحبشة يومئذ كافر ولكنه استثناء من الكفار حيث أنه لا يظلم عنده أحد، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إليه.

فالنجاشي برغم كونه كان ساعتها كافراً، إلا أنه لا يظلم عنده أحد، وهذا يعني أنه لا يفرض سلطته على الرعية بحيث يظلمهم كما يفعل الكفار في كل الأزمان، ولذلك يمكن العيش في جواره، فليس فيه خضوع لغير شرع الله.

لهؤلاء أقول إن النجاشي لم يكن يفرض ضرائب، ولم يكن يرغم الناس على احترام قانونه، ولذلك لا يتعارض العيش في جواره مع توحيد الله بالعبادة، حيث أن القاطن في جواره لا يخضع له، كما هي الحال مع طواغيت عصرنا، ومن ثم فإن الاستدلال به، استدلال خاطئ لا يعدو كونه تشويش، ولبس للحق بالباطل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخاتمة

اعلم أخي المؤمن أن هذه الدار ليست لك بدار، وأنه لا دار للإسلام اليوم يمكن للمرء أن يعيش فيها بهناء، لذلك لا تتوقع العيش الرغيد في هذه الحياة.

واعلم أنه لا مكان لك إلا خلف قضبان السجون، سجينا بعد دعوة الكفار، أو شريدا في الفلاة، تفر بدينك من الفتن، فاستعن بالله واصبر واحتسب وأطع أمر ربك:

﴿فَاصبِر إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَستَخِفَّنَّكَ الَّذينَ لا يوقِنونَ﴾ [الروم: ٦٠]